

الفصل الأول

مفهوم السلام الداخلي

قد يكون القلق احد المشاكل الكبرى التي نعانيها ولا سيما الشباب والشابات. وقد يتسبب عدم الاستقرار هذا بمشاكل نفسية كثيرة ومتنوعة في الإنسان العصري. نريد من خلال لقاءاتنا ان نجد حلاً لهذه الظاهرة على مستوى أعمق، وهو العودة إلى الحياة الروحية حيث يكمن الحل الجذري، لأنه في نظرتنا الإيمانية كل حل خارج هذا الإطار هو حل جزئي وغير ثابت. وما يثبت ما نقول ان عالم اليوم وفر كل الوسائل التكنولوجية والعلمية لراحة الإنسان، ولكن الإنسان بقي فارغاً بحاجة لسلام على مستوى آخر من العمق.

لماذا فقد الإنسان سلامه الداخلي؟

هنا علينا العودة إلى بداية الخلق عندما خلق الله الإنسان الأول في أفضل أحواله "ورأى الله جميع ما صنعه حسن (تك ١/٣١) لقد تميزت العلاقة بين آدم ومن حوله بالتوافق والانسجام، فالكتاب المقدس يصور لنا مدى الانسجام القائم بين آدم وجسده (تك ٢/٢٥) وصورة أخرى جميلة لطبيعة العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة (تك ٢/٢٣) وعن باقي المخلوقات (تك ٢/٢٠) وكنتيجة لهذا كله، شعر الإنسان الأول بسعادة غامرة رمز إليها في الكتاب المقدس بلفظة الجنة، فهي لا تعني مكاناً محدداً، بل هي وصف لحالة السلام والسعادة الفائقة. ثم تعرض الإنسان لتجربة معينة، التي جعلت الإنسان منقسماً في نفسه وعبداً للشهوة .

نتائج الخطيئة :

١. فقد السيطرة على جسده وأصبح له الجسد مصدر إغراء وتجربة (تك ١٠-٨/٣) وبدأ المرض والألم والشيخوخة والموت كنتيجة حتمية لعدم سيطرة الروح على الجسد . كما يقول القديس بولس برسائلته (رومه ٧/١٩ و ٢٠) "كل ما أريده لا افعله ..."
٢. فقد علاقته الحسنة بزوجته التي ترمز إلى الآخرين وبدأ يتهمها بأنها السبب (تك ٣/١٢) بعد أن كانت وإياه جسد واحد (تك ٢/٢٣).

٣. فقد سيطرته على الطبيعة والمخلوقات "فمعاونة الأرض بسببك ... " (تك ١٧/٣-١٩)
وكتيجة للخطيئة الأولى، الله يطرد الإنسان من الجنة (تك ٢٣/٣) والطرده هنا يعني أن
الإنسان، بسبب خطيئته، فقد السلام الداخلي، وفقد تلك السعادة التي ترمز لها الجنة.
ولم يطرد الله الإنسان لغضبه منه، بل الحقيقة أن الإنسان هو من طرد نفسه وأساء
استخدام حريته واختياره الشخصي.

فقدان السلام الداخلي

تكمّن قوة الإنسان في داخله فإذا فقد انسجامه مع نفسه ومع الآخرين ومع الله، نرى أن جميع أموره
تسير في غير اتجاهها الصحيح، وهو يعتقد أن السبب يكمن في من هم حوله. لذلك حين تكثر
المشاكل حولك، فتش عن السبب في داخلك.

مستويات للسلام الداخلي

للسلام الداخلي مستويان : سلام من فقر وسلام من غنى، فقد أحظى بالسلام لعدم وجود مشاكل
حولي، حين تسير جميع الأمور بسهولة، وهذا السلام هو سلام عادي، وكل فرد قد ينعم بهذا
السلام، عندما يكون هادئ الطبع . هناك السلام عن غنى، حين تكون هناك التزاعات الشاقة و
خصوصاً حول أشخاص ذو طبع حاد وشخصية ثائرة. في هذه الحالة نحتاج لمجهود مضاعف لنحصل
على هذا السلام، لأنني لن احصل عليه إلا إذا استطعت أن أضع في المقابل قدراً كبيراً من الطاقة
الروحية يكافئ المشاكل والتجارب التي تحيط بي. البعض يطلبون من الله أن لا يجعلهم يصادفون
مشاكل، ولكن بالأحرى عليهم أن يطلبوا القوى لتمحيص إيمانهم . فكبار القديسين هم من عانوا
المشاكل الكبيرة كالقديس اوغسطينوس والقديس بولس . فليس المطلوب هنا أن الغي طبيعتي، بل
أن أسيطر عليها، وأكون أقوى منها، فان انتظرت أن تخلو تماماً من المشاكل حتى تجد سلامك
الداخلي، فقد تموت قبل أن تجد السلام. هذا ما يعلمنا إياه يسوع في صلاته إلى أبيه " لا أسألك أن
تخرجهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير" (يوحنا ١٧/١٥)

نوعان من السلام الداخلي

هناك نوعان من السلام الداخلي، الأول سلام مزيف والثاني حقيقي. فقد أكون في راحة وسلام مزيف كذاك الفريسي (لوقا ١٨/١١)، والمسيح جاء لينقذ الإنسان من هذا السلام المزيف "لا تظنوا إني جئت لأحل السلام في الأرض، ما جئت لأحل سلاماً بل سيفاً" (متى ١٠/٣٤) علينا أن نعبر من السلام المزيف إلى السلام الحقيقي الذي يعطيه المسيح وحده "سلامي اعطيكم" (يو ١٤: ٢٧) ان المسيح يسوع يتكلم عن السلام الإلهي. ذاك السلام الذي لا يحصل ولا أناله إلا إذا كنت في حالة وحدة داخلية ومحبة مع القريب. ذاك السلام الذي يأتي نتيجة توبة صادقة.

أسئلة للنقاش

- ١) إلى أي مدى أعيش في توتر مع من هم حولي؟ وإلى أي مدى هناك صلة بين هذا كله وسلامي الداخلي؟
- ٢) هل اشعر بغضب عندما يسألني احد إذا كنت بخير أو إذا كنت حزين؟ هل تسألت لماذا؟
- ٣) ماذا يعني لي السلام الداخلي؟ تحدث عن خبرة سلام مزيفه أو حقيقية أن وجدت؟

الفصل الثاني

السلام الداخلي و حياة الحرية

"ان المسيح هو من حررنا تحريراً. فأثبتوا اذاً ولا تدعوا أحدا يعود بكم إلى نير العبودية" (غلاطية ١/٥) من الأخطاء الشائعة في عالم اليوم، انه يشجع مبدأ الحرية بطريقة خاطئة فيصرح أن كل فرد هو كيان حر مستقل، ومن حقه أن يتصرف كما يشاء ليستحق أن يكون إنسانا. هذا الخطأ منتشر في المدارس بشكل خاص. إذ يعتقد البعض ان الإنسان بقدر ما يتسلم لرغباته يبني ذاته. لكن لا ننسى ان الشجرة لن تستقيم ان لم يقيم البستاني بتقليم فروعها وتوجيهها، وإلا تحولت إلى غابة وفوضى. الإنسان يجب أن يفهم انه ليس حر، بل يمكن أن نقول بأنه يتحرر. فعليه أن ينمو ويفهم أكثر مع الوقت كيف يعيش الحرية بالطريقة الصحيحة.

يجب علينا عدم الخلط بين المزاج الذي هو نزعة الحيوان التلقائية وهو لا يخضع للعقل، ولا يحتاج الى إرادة قوية في حين تفعل الحرية كل ذلك . علينا أن نعرف إننا أمام اختيارين، أو نصبح إنسان غرائزي، ينقاد للأسفل ويحط من كرامته، أو إنسان روحي وهو الذي يملك تلك الغريزة الروحية التي تسمو به إلى السماء وهو من يملك ويقود حياته بنفسه. للإنسان الروحي قوة: لا تتركز في عضلاته، لأنه يعيش بطاقة غير عادية، فالقوة هي ظاهرة مرتبطة بالبدن والعضلات، أما الطاقة فهي مرتبطة بالإرادة والعزيمة. من منا لم يرى عجوز نحيلة تتحرك وتعمل بطاقة اكبر من شاب لم يتعدى العشرين من عمره. ويسوع المسيح يثبت هذا بقوله "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان" (متى ٤/٤). ومن هنا تنشأ الحاجة للسيطرة على الجانب الحيواني الغرائزي بالإنسان، وذلك بممارسة عادات أخرى، كالصوم والاماتة والتأمل ، حتى لا يسمح للإنسان لغرائزه بأن تقوده بل ينمو بداخله الإنسان الروحي والعقلي.

إذا أردنا أن نصل إلى الحياة الروحية هذه، يجب أن يكون الله الاولوية المطلقة في حياتي وعندها سأملك الحرية في كل شيء من حولي، ولا اجعل شيء يقودني ويسيطر علي، بل سأقود حياتي أنا بنفسني وأكون سيدها. لذلك دعونا نستعرض بعض الحريات المهمة في حياتنا والتي يجب السعي إليها بكل قوانا:

١) حرية بالنسبة إلى الطعام

قد يرى بعضهم ان هذا الموضوع ليس له صلة بالحياة الروحية، ولكني أؤكد لك انه، من خلال هذه الممارسات، ستتوصل إلى الطرق التي تؤدي بك إلى الاتزان النفسي والسلام الداخلي. على سبيل المثال، ننظر إلى الصوم ومكانته في جميع الأديان، فليس هناك دين، منذ بدء التاريخ وحتى اليوم، لم يقصد الصوم. فجميع الأديان تحث على الصوم، باعتبار انه من خلال حرمان معين، يكتسب الفرد نوعاً من السيطرة على النفس. حتى لو تم بالامتناع عن أمور بسيطة، كأن لا أضع الكثير من السكر في كوب شاي، حتى لو أفضله حلو المذاق. ان الصوم هو ايسر طريقة لقهر الجسد فعلى سبيل المثال معروف في علم النفس، وجود ارتباط بين كل من غريزة الطعام وغريزة الجنس. فحين لا يستطيع الفرد التغلب على ميوله الجنسية قد يتحقق ذلك من خلال الحرمان في مجال آخر.

٢) حرية بالنسبة إلى النوم

إذا كنت ميالاً للسهر حتى ساعة متأخرة من الليل، واصحو في الصباح وأنا لا أستطيع التركيز، يكون هناك خلل في حياتي. فالإفراط في النوم يجعل الإنسان يشعر بالكسل والتعب، كما ان الإقلال منه يجعل الإنسان مجهداً لأنه لم ينم بقدر كاف. وقد تظن ان هذا لا علاقة له بموضعنا، ولكنك يجب أن تعرف ان الإيمان والسلام الداخلي تحصل عليهم بالإعمال والممارسات الملموسة وليست الخيالية.

٣) حرية بالنسبة إلى المظهر الخارجي

ما هو موقفك من اللباس؟ هناك أفراد لا يولون هذا الموضوع أي أهمية على الإطلاق، فهم يرتدون أي بنطلون أو فستان، اما آخرون فيكون كل تركيزهم في مظهرهم الخارجي. عليك ان تسأل نفسك، ما هو موقفك من مظهرك الخارجي.

٤) حرية بالنسبة إلى العادات السيئة

معظم المدخنين في إمكانهم أن يقلعوا عن هذه العادة بلامشقة، ولكنهم لا يعتقدون العزم على ذلك. الثورة الصناعية والاستهلاكية تقنع إنسان اليوم، انه لا توجد هناك سعادة أو سلام داخلي إلا باستخدام منتج معين، لتتسبب ما قاله يسوع للسامرية: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش ثانية، وأما الذي يشرب من الماء الذي أعطيه أنا يصير فيه عين ماء يتفجر حياة أبدية" (يوحنا ٤/١٣)

و١٤). هذا الفرق الأساسي بين اتجاهين، الأول يحتاج باستمرار إلى شيء خارجي بكميات متزايدة. أما الثاني فهو يتمتع بسلام بسيط دائم ونابع من أعماق الإنسان، ويتجدد من داخله لا من الخارج.

الخلاصة :

أن لا أدع الوسائل الموجودة في حياتي لخدمتي، والتي هي من صنع أيدي البشر، تصبح أهداف وأنا موجود لخدمتها وعبد لها. لأنه بمجرد ان تنقلب الوسائل إلى أهداف، يحدث خلل في داخل الإنسان، وهذا ما يظهر بصورة توتر وقلق. فإذا على الإنسان أن يعيش في هذا الكون في حالة تحرر مطلق في تعامله مع الأشياء.

أسئلة للنقاش

- ١) هل استطيع وصف نفسي بأنني حر؟ ما هي الحرية بالنسبة لي؟
- ٢) هل تختبر التضحية والامانة في حياتك؟ ما أهميتها بالنسبة لك؟
- ٣) هل ترتبط حياتي بأحد الأشياء بوجه مبالغ فيه، طعام ... تلفزيون... الخ؟ ماذا يمكن ان يحدث لي اذا امتنعت عنها؟
- ٤) هل أسمح للآخرين بمشاركتي ببعض حاجاتي الخاصة؟ وما هي قدرتي على التخلي عن شيء لأجل شخص محتاج؟
- ٥) ما هو الفرق بين وسيلة وهدف ؟ متى تتحول الوسائل الى اهداف ولماذا برأيك؟

الفصل الثالث

السلام الداخلي في الإيمان بحب الله لي

"ولذلك أقول لكم: لا يهتمكم للعيش ما تأكلون ولا للجسد ما تلبسون أليست الحياة أعظم من الطعام والجسد اعظم من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء كيف لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء، وأبوكم السماوي يرزقها. أفلمستم انتم أتمن منها بكثير! ومن منكم إذا اهتم، يستطيع ان يضيف إلى حياته مقدار ذراعاً واحداً؟ فاطلبوا أولاً ملكوت الله وبره والباقي يزداد لكم. ولا يهتمكم أمر الغد، فالغد يهتم بنفسه. ولكل يوم من العناء ما يكفيه" (متى ٦/٢٥-٣٤) تناولنا في الجزئين السابقين دور الفرد في خلق السلام الداخلي بنفسه، لكننا في هذا الجزء سنتناول دور العلاقة بالله في الوصول إلى حالة من السلام الداخلي في حياتي.

انظر إلى العشب، انظر إلى الطبيعة، كلها تعيش في سلام دائم، تؤمن بأن الله يعيها، هذا الإحساس نسميه الإيمان، فهو الشعور بان ما يحدث لي، إذا أرجعته إلى الله بثقة، أو من بأنه يحول الشر إلى خير. فأي أحداث تمر في حياتي، وأي مصيبة، وأي خطأ إذا رفعته إليه أو قلت له، أقدم إليك هذا، وأنت تعرف اني لا املك الحل. فإذا كان لدي الحل، وجب علي أن أتدخل وأوضحه أولاً، لان الله منحني عقلاً ولساناً ويدين حتى اعمل كل ما استطيع ان اعمله. وفي النهاية، إذا لم أجد الحل، وجدت الطريق مسدوداً أمامي، فإما أن ينتابني اليأس والقلق، أو ألتجأ إلى الإيمان .

ان كل ما تكلمنا عنه، وعن قدرة الإنسان ليصل بقواه الطبيعية إلى السلام الداخلي هو صحيح، ولكنه غير كافٍ. فانك قد تحاول كثيراً بقواك الشخصية، ولكنك ستصل لبعض الأوقات وتقول "يا رب أي غير قادر... أنقذني" وقد لا يكفي إيمانك وتصيح "أمنت، فشدد إيماني الضعيف" (مر ٦/٢٤) . سلام الإنسان الداخلي يتحقق حين يفتح على هذه القوة العليا، التي يجد فيها الطمأنينة. هكذا صرخ التلاميذ في السفينة "يا رب ، نجنا لقد هلكنا،" (متى ٥/٢٥). فمن غيره يقدر على عواصف الحياة؟ هنا يكمن سر السلام الداخلي . فانا أعيش في سكينه. لا لأني لا أصادف مشاكل، بل لتمسكي بالإيمان.

يكفيك ان تؤمن بحب الله لك

كثيراً نردد في صلواتنا : يا رب انا حبك من كل قلبي... هذه كذبة كبيرة. فمن منا يستطيع ان يحب الله كذلك؟ ما يجب قوله "يا ربي أنا أؤمن بأنك تحبني بكل قلبك بكل قدرتك، وبكل ما فيك". حب الله حب بلا شروط وبلا قيود. الله لا يحتاج أعمالنا، بل الأعمال هي نتيجة تلقائية للإيمان : "إيمان بحب الله المطلق لي"

حبه مجاني

لا تحاول ان تشتري حب الله لك، فهو حب مجاني. لا يتطلب منك اعمالاً. لان الأعمال يجب ان تكون رداً على هذا الحب. يكمن عمق الدين المسيحي في الإيمان بحب الله لنا، وفي الإحساس بفقرنا التام أمام حب عظيم ومجاني كهذا، هذا الحب هو نعمة مجانية يجب ان يتقبلها الإنسان بشكر، ويمجد الله على ذلك وإلا اختنق كل ما يملك من جراء اشواك الأنانية. " من حفظ حياته يفقدها ومن فقد حياته في سبيلي يحفظها " (متى ١٠/٣٩)

مجانية العطاء من جهة أخرى، في النعمة هي نقطة يجب ان نشعر بها في حياتنا، ولا سيما في عالم أصبح لكل شيء فيه ثمننا حتى أنه أصبحنا نطبق هذا المبدأ في تصرفنا مع الله! ثق ان الله لا يريد منك مقابلاً، بل يطلب الإيمان. تعال إلى الله لا لأنك تملك تقديماً "يا رب أعطيني ان انجح في الامتحان وسأشعل لك عشرة شمعات" بل لأنك لا تملك شيئاً لتقدمه له، وهو سيعطيك. تعال فارغ اليدين لأنك تؤمن بحبه لك، وإذا كان مفهوم الحب في مجتمعنا قد تشوه، فهذا يرجع إلى أننا فقدنا الإيمان بحب الله المطلق. الحب المشروط، دليل على قلة الإيمان، بينما حب الله غير المشروط، من خلاله لا يوجد حدث يهزني، ولا يوجد ما يزع مني السلام الداخلي، فسلامي راسخ في الله وحبه لي .

حبه لنا يغيرنا

الإنسان بمجرد ان يعرف انه محبوب من الله، يشع جمالاً يعطي الإنسان طاعة وقدرة على التغيير، هذا ما يحدث لفتاة سمينه عندما تشعر انها محبوبة من حبيبها، فإنها تتغير وقد تصبح عارضة أزياء. فإذا علي أن أؤمن، لا اشعر فقط، أي ان أتيقن واعرف بانني محبوب من الله "أما نحن فإننا نحبه لأنه أحبنا قبل ان نحبه" (يو ١٩/٤).

هنا تجدر الإشارة إلى ان حبي لله هو صدى حبه لي، بمعنى ان المبادرة ليست مني، بل منه. المطلوب منك الخروج من الذات و الانانية.

ان تبادل حب الله لك هو ان تفتح باب نفسك لحبه ومن ثم تنطلق فتجعل حبه بشمر في كل لحظة من حياتك.

خلاصة

ما دمت لم تكتشف حب الله في حياتك لن تستطيع ان تنعم بالسلام الداخلي. فان قلبك محتاج إلى صخرة يستند إليها ويتشبث بها في حين ان حب الإنسان، مهما كان قوياً وعميقاً، هو محدود ومهدد. لقد بحث القديس أوغستينس عن حب في حياته، وأخيراً كتب في اعترافاته "خلقتنا لك يا رب ، وقلبنا في قلق واضطراب ما دام لم يجدك"

الأسئلة :

- ١) ماذا يعني الإيمان بالنسبة لي؟
- ٢) كيف أتصرف في حالات ليس لي المقدرة على حلها، كموت احد الأقارب، مرض شخصي؟
- ٣) هل هناك فرق بين الإيمان والاتكالية بالنسبة لك؟
- ٤) هل أومن بأن الله يحبني ومحبهه تقودني لمحبة نفسي والقريب، تكلم عن خبرتك؟
- ٥) هل أنا اشعر وأعيش محبة الله المجانية لي، ام إنني اشعر انه يجب علي دفع شيء بالمقابل؟
- ٦) كيف أحب الله؟ وأبادله الحب؟
- ٧) تحدث عن خبرة حب جعلتك تشعر بسلام داخلي؟

الفصل الرابع

السلام الداخلي في حالة الخطيئة

لقد ذكرنا ان الخطيئة الأولى سببت فقدان السلام الداخلي عند الإنسان، وأيضا كانت السبب في ما تبعها من اختلال في توازن العلاقات بينه وبين الطبيعة وبين اخيه الإنسان، وبالتالي تسبب الخطيئة شعوراً بعدم الارتياح عند الخاطئ . في الحقيقة ان ما ذكر في ما قبل عن تأثير الخطيئة قبل فداء السيد المسيح لنا بالصليب يختلف عنه في ما بعد الفداء. فقد أصبح لنا الرجاء والقوة حتى في حالة الخطيئة على تحويل كل شيء إلى صالحنا ولعلاقة أقوى مع الله، دعونا نرى كيف ذلك؟

١) الخطيئة قد تكون سبيلاً إلى الله

بالخطيئة أنت تفسد العلاقة مع الله، وتصد حبه، وتعيش في الأنانية. لكن الله يقول لك : "رغم أخطائك، حبي لك غير مشروط" فالخطيئة إذا ليس لها القوة لتفصل الله عن الإنسان لكنها قد تفصل الإنسان عن الله، وإذا أراد الإنسان ذلك فإنه بعد الخطيئة قد يتصرف مثل آدم بعد ان خالف وصية الرب ونجده قد اختبأ، في حين ان الله راح يبحث عنه ليسأله: "أين أنت؟" (تك ٣/٩) . عادة حين يسلك الإنسان باستقامة، يشعر بأنه قريب من الله، وحين يخطئ، ينابه إحساس بوجود قطيعة بينه وبين الله. هذا الأحساس يجب ان نتخطاه. لا تخف ان تقابل الله بقلب مثقل بالخطايا، فهناك من يمتنع عن الصلاة وعن الكنيسة بحجة انه في حالة خطيئة. لا تنتظر ان تكون باراً حتى تذهب إلى الله، تذكر قصة الفريسي والعمارة وانظر من منهما عاد مبرراً (لوقا ١٨/٩)، في الحياة الروحية، قد تكون الخطيئة نفسها سبيلاً إلى الله، وهذا لا يعني ان يعتمد الإنسان ان يخطئ ليجد رحمة الله، بل المقصود انه، حين يخطئ، عليه ان لا يشك في ان رحمة الله وقلبه أوسع من حكمنا على أنفسنا : فإذا وبخنا قلبنا، فان الله اكبر من قلبنا" (أيو ٣/٢٠) لا شك ان اشخاصاً مثل الابن الضال أو مريم المجدلية أو السامرية هم أشخاص عرفوا قلب الله، واكتشفوا مجانية الخلاص أكثر مما اكتشفها غيرهم. لا تستطيع ان تدفع شيئاً لتستحق نعمة الغفران ولكنك تستطيع ان تقبلها بتواضع وقلب نادم .

٢) الله يقبل الخاطئ كما هو

هناك كانت كاتب يدعى بول تليخ يتحدث عن النعمة والإحساس بأنك مقبول عند الله فيقول : "انك مقبول - مقبول بلا شروط - مقبول ممن هو أعظم منك، لا تعرف اسمه ولا تحاول ان تعرفه. ما عليك الا ان تقبل تلك الحقيقة الحتمية انك مقبول. عندما تجرب هذا، تختبر النعمة، وبعد تجربة كهذه، قد لا تكون أفضل مما كنت، ولكن في الوقت نفسه، تغير كل شيء وتغلبت النعمة على الخطيئة". فإذا من خلال هذا النص، جميل ان نفهم اننا مقبولون كما نحن، والتحول في حياتنا سوف يحدث نتيجة هذا القبول المجاني. ان الله يحبنا كما نحن، ثم قد نتغير، وهكذا نحن لا يجب ان ننظر من الأخر ان يتغير حتى أحبه، بل يجب علي ان أحبه كما هو وهذا الحب قد يغيره... نفهم من هذا ان على الإنسان ان لا يكون رسمياً أمام الله. تعال لله كما أنت، وهذا ما سيثبت فيك السلام الداخلي الذي تنشده.

٣) الله يقبلني كما انا لكنه يغيرني

الله يقبل الإنسان الخاطئ كما هو، لكنه لا يتركه كذلك بل يغيره. يقبلني انا ليجعلني باراً، وهذا ما حدث مع زكا العشار (لوقا ١٩ / ١ / ٩) نرى هنا الفرق بين الكنيسة الكاثوليكية والاورثوذكسية وتلك البروتستانتية، بالاثنين الكاثوليكية والاورثوذكسية النعمة تجدد الإنسان من الداخل حتى يصبح باراً وقديساً بينما في تلك البروتستانتية، النعمة هي فقط ستار لخطايا الإنسان فلا يتغير... وهذا عكس صلاة المزمور ٥١ : زدني غسلًا من إثمي ومن خطيئتي طهرني.

٤) الخطيئة تكشف لنا بوجه أفضل عن حب الله

لنكن على يقين ان هناك جانب من كيان الله لن يعرفه الإنسان ما لم يختبر الخطيئة. وهنا لتأمل من جديد في قصة الابن الضال : الابن الأكبر يخاطب والده: "ها انا أخدمك منذ سنين طوال... فما أعطيتني جدياً واحداً أما ابنك هذا... ذبحت له العجل المسمن!" (لوقا ١٥ / ٢٩ و ٣٠). ثم غضب وانصرف. هذا ما يجب ان يدعونا لنسأل : يا ترى من الذي كان أكثر معرفة لقلب أبيه بين هذين الأخوين؟ هناك جزء من كيان الأب لن يعرفه الأكبر طوال حياته لأنه سعيد بنفسه، بار في عيني نفسه. اما الثاني فقد علمته الخطيئة الطريق لكي يعود إلى أبيه، ويعرف ان أباه كريم في رحمته وعظيم في محبته له. هذا ما قاله ايضاً يسوع المسيح عن مريم المجدلية: "فإذا قلت لك ان خطاياها الكثيرة

غفرت لها ، فلأنها أظهرت حباً كثيراً. وأما الذي يغفر له القليل، فإنه يظهر حباً قليلاً " .ان كل ما يجب علينا فهمه هنا ليس التشجيع على الخطيئة، بل انه عندما نخطئ، ان لا نشعر انها نهاية العالم، فالإياس هو نوع من الكبرياء وعندها سنفقد السلام حتماً.

٥) الخطيئة قد تسهل دخول النعمة

الإنسان هو كيان مغلق غالباً، وغالباً ما يكون راضياً عن نفسه، فالفريسي لكثرة ما كان راضياً عن نفسه، ولكثرة ما كان يشعر بأنه كامل، لم يفتح أية نافذة لينفذ من خلالها شعاع نعمة الله إلى داخله. فالنعمة تحتاج إلى نافذة تمر منها إلى قلب الإنسان، وقد يكون جرح الخطيئة تلك النافذة التي تسمح للنعمة بالنفاذ إلى أعماقنا حتى تروي أنفسنا التي تشبه الأرض الجافة .

٦) الخطيئة قد تررع فينا فضيلة التواضع

مهما عمل الإنسان، فهو غير مستحق أمام الله، لكن الله يستطيع ان يجعلك كذلك. لا تتمثل بالفريسي وتقول، "المجد لله، فأنا لا أشبه باقي الشباب غير المؤمن" ربما الله سيسمح ان تسقط عندها في بعض الخطايا وسيصعب عليك التخلص منها حتى تتحقق فيك قيمة التواضع، وحتى تكون اشد تسامحاً مع الآخرين وحتى تفهم ضعف الإنسان. كثيراً ما يكون حكماً قاسياً على الآخرين، لأننا لا نشعر بضعفنا. ان عظماء القديسين هم من كانوا شديدي التواضع لعلمهم بطبيعة محبة الله لهم وكيف الخطيئة حتى ولو كانت صغيرة يمكن ان تهينه، وكيف أنهم لا يستطيعون تغيير شيء بدون نعمة الله ورحمته.

٧) بالخطيئة يخلق الله عالماً جديداً

الله هو الوحيد الذي يقدر ان يحول الشر إلى خير هذه هبة قدرته، وهو الذي اخرج الوجود من العدم، ويستطيع ان يخرج الخير من الشر. هذا هو معنى الفداء فحالة الإنسان بعد الخطيئة، ثم بعد الفداء، أحسن من حالته عند الخلق قبل الخطيئة وهذا ما يقوله لنا السيد المسيح : "اما أنا فقد أتيت لتكون الحياة للناس وتفيض فيهم" (يوحنا ١٠/١٠) ان الله لا يريد الشر، ولكن لننظر ان اكبر خطيئة اقترفتها البشرية هي صلب السيد المسيح، ولكن من على الصليب آتانا ينبوع النعمة والفداء.

أسئلة للنقاش

- ١) كيف يمكن ان يشعر الإنسان بالسلام رغم إحساسه بأنه خاطئ؟
- ٢) ماذا غير في داخلي الإيمان بفداء السيد المسيح لي عند مواجهتي لخطيئتي؟
- ٣) ما هو الأقوى في داخلك: الشعور بالذنب أو الرجاء والفرح والرغبة بالتوبة؟
- ٤) ماذا تشعرا عند ارتكابك للخطيئة؟

الفصل الخامس

السلام الداخلي في الصلاة والتأمل

يمكن تشبيه الحياة بالبحر، فعلى سطحه تكثر الأمواج، تعلو تارة، وتقبط تارة، وتصطدم بكل ما يصادفها من أجسام وحين يبدأ الإنسان بالغوص إلى العمق، يقل شعوره بحركة الأمواج أما في القاع فلن يشعر بأي حركة أو توتر. هناك يستطيع ان يعيش في سلام دائم. ونحن بحياتنا نتأثر بالأحداث التي تجري من حولنا، وليس هناك من "لا يتأثر بتاتا بما حوله" فإذا كنت سطحي في حياتي، لن أستطيع ابداً ان أعيش بسكينة، فسلامي يكون مهدداً باستمرار. إذ ان كل كلمة اسمعها تجرحني، وكل ابتسامة تجعلني اقفز من الفرح، وبعض السخرية قد تحطمني. من هنا تنبع حاجتي إلى مستوى أعمق في حياتي. يجب على ان أتفاعل مع من حولي ولكن كل هذا يجب ان يصل لحد معين ولا يخرق عمق نفسي، حيث أكون هناك في سلام مهما حصل لي. فالسلام الداخلي يتحقق بقدر ما يتعود الإنسان ان يجد نفسه في هذا الموضع ويعيش هناك. وفي الصلاة، يغوص الإنسان في عمق كيانه حتى يجد ذاته هناك في القاع، أي في العمق. في هذه الحالة قد تهب عواصف على السطح، في حين يسيطر الهدوء في القاع، قد يظهر الإنسان في انفعال معين، وكأنه تأثر، شرط ان يبقى في داخل نفسه في هدوء تام. فإذا الصلاة هي العودة إلى الذات، وهي ان لم تكن كذلك، لن تفيد. فالصلاة يجب ان تكون مثمرة، إذ انها ليست مجرد فريضة أؤديها، وكأني أقول لله. هل أنت تحتاج مني إلى نصف ساعة صلاة! ها أنا أعطيك إياها. في الحقيقة أنت هو المحتاج إلى هذا الوقت وليس الله، فمن خلال الصلاة تعود إلى عمق نفسك، والى وحدة كيانك، والصلاة هنا تركز على التأمل، تلك الصلاة التي من خلالها اجمع شمل نفسي واجدها من جديد، تلك الحطام التي تناثرت في كل جانب احتاج إلى ان اجمعها مرة أخرى.

يا رب علمني ان أصلي

السؤال الآن كيف يجب ان نصلي؟ بطبيعة الحال، صلاة يسوع الشخصية هي أول ينبوع نستقي منه، ان المسيحي يجب ان يؤسس صلاته على صلاة المسيح. اجمل صورة كتابية لصلاة يسوع المسيح الشخصية والصعبة هي صلاته في الجتسمانية (مر ١٤، ٣٢ - ٢) يسوع يعلمنا انه كان يصلي،

ولكن لم تخلو صلاته من التعب والصعوبة وهو يدعونا للصلاة "اسهروا" لان "الروح مندفع واما الجسد فضعيف" فالصلاة مهمه ولكن لماذا؟ يمكننا إيجاد ثلاث إجابات لهذا السؤال:

(١) أننا محتاجون للصلاة للوصول إلى حالة روحية من ضبط النفس ومن السلام الداخلي, نريد الوصول إلى وحدة في داخلنا، ونشعر ان الصلاة هي الطريق التي تؤدي الى ذلك ولكن هذا لا يكفي, فصلاة يسوع تعلمنا أيضا انه في الصلاة هناك :

(٢) رغبة في البحث عن إرادة الله و إتباعها. وهذه الرغبة موجودة في صلاة يسوع في الجثمانية. مضمون صلاتنا هو "لتكن مشيئتك لا مشيئتي" لأننا نجد سلامنا في ذلك .

(٣) الرغبة في صلاة تحمل في ثناياها النية الصادقة في الامثال لمشيئة المولى بشكل دائم لا متقطع. كل هذا يقوده الروح، ذاك الروح الذي جعل يسوع يقول في صلاته "يا ابت لا كما أريد أنا بل كما تريد أنت" اننا في صلاتنا يجب ان نصل إلى ذاك العمق "ظمئت نفسي إلى الله، الإله الحي" (مزمور ٤٢، ٣) ذلك الظمأ إلى العلاقة الشخصية المحبة مع الله. ظمأ لا ينعم بالسلام الا إذا وجد الراحة في الله.

صعوبات في الصلاة

"متى صليتم لا" (متى ٦، ٥-١٥) في هذا النص نجد الصفات السلبية التي تشوه صلاتنا.

(١) الرياء "فإذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين" أي الاكتفاء بالمظهر أو التركيز فقط عليه . الصلاة تصبح نجاحاً خارجياً فقط.

(٢) الوسواس "فإذا صليتم فلا تكرر الكلام" ، أي اعتبار الصلاة أداة لتحقيق رغبة ما، ونسيان ان الصلاة هي قبل كل شيء تسليم الذات إلى الله والاتحاد بمشيئته وتخطي الذات بصحبة الله. وإجابة يسوع على هذه الصلاة "ان أبوكم السماوي يعلم ما تحتاجون إليه" الصلاة هي ان نرتمي في حضن الله، لا ان نحصل منه على شيء.

(٣) الازدواجية : "وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يعفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم" التناقض مثلاً بين طلب الغفران من الله وعدم المغفرة للقريب، هو تعبير عن انه كيف ممكن للإنسان ان يخدع نفسه ويظن انه يسير في طريق مشيئة الله بينما هو في الواقع بعيد عنها. اذاً الصلاة يجب ان تكون كما تقول القديسة تريزا الكبيرة "ليست الصلاة الذهنية بالنسبة لي سوى علاقة صداقة حميمة . ان التقى باستمرار، وجهاً لوجه، بالشخص الذي اعرف يقيناً انه يحبني".

فإذا الصلاة هي ان نعيش كمسيحيين. علاقة شخصية مع السيد المسيح، علاقة ابتدأت فينا عند قبولنا لسر المعمودية، وتنمو في خبرة كلمة الله وفي حضوره وفي عمله الخلاصي، كي يحقق فينا الخضوع لله الأب وكي نخدم الكنيسة.

أسئلة للنقاش

- ١) هل صلاتي سهلة؟ هل اعتبر ان صلاتي مشكلة؟ ام انها ليست مشكلة لأني في الأساس لا اعتبر الموضوع مهماً؟
- ٢) هل اشعر بضرورة الصلاة الشخصية؟ لماذا هي مهمة؟
- ٣) هل اشعر بتعب عندما أحاول ان أعيش إرادة الله وان أتذوقها في حياتي اليومية؟ كيف يمكن لصلاتي الشخصية ان تعبر عن اتحادي بإرادة الله؟
- ٤) تحدث عن خبرتك الشخصية في الصلاة؟